المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص189-213

مجالات التأليف لدى ابن مرزوق الحفيد التلمساني (766-842هـ/1364-1439م)

Areas of writing for Ibn Marzuq al-Hafid Al-Tlemsani (766-842 AH / 1364-1439 AD)

نعيمة طيب بوجمعة
جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)
tayeb_histoire@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/22
تاريخ القبول:
2021/06/01

الكلمات المفتاحية:

- ✓ ابن مرزوق الحفيد
- ✓ تأليف
- ✓ مؤلفات

الملخص:

سنحاول من خلال هذا المقال الحديث عن جانب من جوانب الإبداع والمقدرة العلمية لابن مرزوق الحفيد التلمساني في عالم التأليف، فقد أبان عن قدرات عالية في توظيف المصادر التي اعتمد عليها مما جعله قادرا على الوصول للغايات المرجوة من التأليف، وفي ذات الوقت يُمكنُ المطلع على فهم مظان وخفايا عمله بما لا يجعله في حالة لبس، كما تتضح لنا طبيعة قدراته الذهنية والفكرية التي تميز بها، مما جعله ينوع مجالات التأليف عنده، فهو لم يختص في مجال معين من العلوم، وإنما طرق أبواب ما استطاع منها، فتميز في علوم الحديث والتفسير والفقه والأصول وعلوم اللغة العربية والمنطق، وهذا التنوع في التأليف فرض عليه البحث عن الأدوات المنهجية القادرة على الاستجابة لدواعي التأليف المتنوع عنده، وعزز ذلك بخزين لغوي كبير، فسلك مسالك راقية في الأسلوب والبناء اللغوي شهد له بها القاصي والداني، وهذا التميز الفكري والثقافي لم يكن ليتحقق لولا الرصيد الكبير والمتنوع من المصادر التي اعتمد عليها في رفد مؤلفاته بما كان يقدمه من آراء وأفكار.

Article info

Received:
22/05/2021
Accepted:
01/06/2021

Key words:

- ✓ Ibn Marzuq El Hafid
- ✓ Writing
- ✓ Books

Abstract:

Through this article, we will try to talk about an aspect of creativity and ability that distinguished the scholar Ibn Marzouk El Hafid Al-Tlemsani in the world of writing, because he showed great ability to use the sources on which he relied in his books, which allowed him to achieve the desired writing goals, and at the same time it allowed the reader to understand the secrets and subtleties of his work in a way that does not put him in a state of confusion, the nature of the mental, intellectual capacities which characterized our sheikh, allowed him to diversify his fields of writing, because he was not specialized only in a scientific field, he also distinguished himself in the sciences of hadith, jurisprudence, fundamentals and sciences of the Arabic language and logic. This diversity in the production and the multiplicity of fields forced him to seek methodological tools capable of responding to his different reasons for writing, and this was reinforced by a large linguistic stock which reinforced his distinction by the method and the language in which he writes. This intellectual and cultural distinction would not have been possible without its significant and varied balance from the sources on which he relied in his writings with the opinions and ideas he provided.

مقدمة

إن الهدف من دراسة مجالات التأليف لدى ابن مرزوق الحفيد التلمساني هو معرفة مصادره، واستيضاح الآليات التي مكنته من الارتقاء بملكاته العلمية إلى درجة أعلى في المجالات التي ألف فيها، إذ لا يختلف اثنان على أهمية ما تركه لنا من مؤلفات في مجالات العلوم النقلية والعقلية على حد سواء والتي انتشرت شرقا وغربا، ومادام الحديث هنا عن التأليف وفنونه، علينا استذكار قيمة التراث العربي الإسلامي الذي ينتمي إليه علامتنا، فالمطلع عليه يكتشف عبقرية صناعه، ويتلمس فكرهم الموسوعي في مجال التأليف، وبراعتهم في استخراج كامل طاقاتهم وإمكانياتهم؛ فأعطوا التأليف حقه، واحتفوا بالكتاب أيما حفاوة على الرغم من قلة الإمكانات المتاحة لديهم آنذاك مقارنة بوقتنا الحالي، لذا ساروا على خطط مركزة منضبطة في التأليف، فكان كل شيء كان ممنهجا وفقا لمعطيات عصرهم. ومن بين أنواع التآليف المختلفة وجد شكل متميز في العصر الوسيط الإسلامي، تميز به ابن مرزوق الحفيد وغيره من علماء ذلك العصر، وهو اعتماد المؤلف على كتاب سبق ظهوره، يهتم به ويتخذ منه محورا يدور حوله كتابه الجديد في شكل شرح أو تلخيص أو تهذيب أو تذييل أو استدراك أو معارضة أو محاكمة، وهذا النوع من التأليف هو ما يسميه البعض "**التأليف النصي المحوري**"، وهو يمثل ظاهرة هامة استمرت في التأليف العربي الإسلامي في مختلف عصوره، ولا زالت موجودة بعض مظاهره حتى الآن. وهذا يوضح، أن عبقرية التأليف العربي الإسلامي قد استجابت للوظائف العلمية، لتظهر أنواعا مختلفة، مثل: المقدمات، العرضات، الهيئات، المسائل، التخريج، التوليد، المفاتيح، النظم، صياغة المعاجم والموسوعات وغيرها[1].

وبما أن تقدم البحث العلمي رهين بالمنهج، ويدور معه وجودا وعدما خصبا وعقما، كان لابد من الاهتمام البالغ بتقنين مناهج البحث العلمي كما أشار إليه عبد الرحمن بدوي[2]، وهذا ما يدفعنا للقول بأن مسألة المنهج ورصانته عند ابن مرزوق الحفيد كان غاية لا وسيلة فيما سعى، ونتيجة لذلك كانت مؤلفاته قائمة على أساس علمي متين، فقد حرص على الدقة والوضوح، ولم يتخذ من الغموض مركبا أو مسلكا، ومن هنا عنينا بأسلوب الكتابة والبناء اللغوي عنده قدر الإمكان وبقدر ما هو متوفر لدينا من معلومات وما اجتهدنا به، وفيما يخص مسألة المصادر وأهميتها عنده، نجده قد اعتنى بها، وحرص على الوصول إلى أفضلها وأحسنها، كما سنتعرض من خلال مقالنا للمجالات التي كتب فيها، فضلا عن الجانب المنهجي الذي امتاز به، وإبراز بعض مواقفه في القضايا الفقهية وفي بقية العلوم الأخرى التي اختص بها، وكلنا يعلم أنه مثل بقية علماء عصره كتب في أكثر من علم وميدان.

هو من قال فيه التنبكتي: "**شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة، والأبحاث الغريبة والفوائد الغزيرة، المتفق على علمه وصلاحه وهديه**"[3]. ومن خلال ما ذكر التنبكتي تتجلى لنا، قيمة البعد الإبداعي في كتابات ابن عالمنا من حيث أركانه الثلاث، وهي: المنهج، الأسلوب والمصادر. وهذا التميز هو الذي جعله يصل إلى مرتبة الاجتهاد باعتراف أهل عصره. وفي إحصاء بسيط لمن

ترجم لابن مرزوق الحفيد، نجد تنوع الأوصاف التي تشير في نهايتها إلى علمه ومكانته، فهو الذي اعتبر: "**معدن العلم وزناد الفهم...وكنز الإفادة**"[4]، وهو أيضا من اعتبر: "**آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول، والقيام الأكمل على الفنون بأسرها...المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف**"[5].

1. التأليف عند ابن مرزوق الحفيد

حدد أصحاب الشأن مجالات التأليف على أنها سبعة أقسام يمكن للمؤلف الكتابة فيها، فكتب حاجي خليفة، قائلا: "**التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي إما شيء لم يسبق إليه أو شيء ناقص يتممه أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشي من معانيه أوشي متفرق يجمعه أو شي مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه**"[6]. ومن هنا، حرص المؤلف المسلم على الإخلاص لنصه على اعتبار أنه خزان للقيم المعرفية والأخلاقية وذاكرة الحضارة، وركيزة التوازن العقلي والنفسي والاجتماعي على اعتبار أن النص ثابت والفهم متحرك، والنصوص تمتلك جدلية محيرة، فهي تستوعب الحقيقة والخيال، الخير والشر، التسامح والتعصب، وهي مثل الطاقة تتشكل وتتحول، كما أنها فضاءات يحلق فيها العقل المبدع المنتصر، وسجون يكبل فيها العقل المهزوم[7].

وبناء على ما ذكر أعلاه فإن ابن مرزوق الحفيد يعكس لنا هذا التوصيف، من حيث الخيارات والمواصفات، فضلا عن تنوع مجالات التأليف عنده، وهي واحدة من مزايا العصر الذي عاشه شيخنا الجليل، إذ تنوعت هذه المجالات ما بين العلوم النقلية والعقلية. ولم يكن عالمنا مجرد مؤلف في قائمة المؤلفين في قائمة هذا العلم أو ذاك، وإنما نجده يفرض نفسه بتميز واقتدار، وقد اعترف بذلك مترجموه، فهذا المقري، يقول عنه: "**إمام الأئمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ، بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول**"[8]، كما تتجلى صورة الإبداع في التنوع والتميز في مجالات التأليف لدى شيخنا في وصف ابن مريم التلمساني له في بستانه "...**أما الفقه فهو فيه مالك، لو رآه ابن القاسم لأقر به عينا، وقال له: طالما دفعت عن المذهب عيبا وشينا، أو رآه المازري لعلم أنه من أقرانه الذي معه يباري، أو الحافظ ابن رشد، لقال له: هلم يا حافظ الرشد، أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة، أو القرافي لاستفاد منه قواعده المقررة، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو الزمخشري لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقة، وقال: لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان[9] لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره، وأما الأصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده، أما النحو فلو رآه الزمخشري لتلجلج في قراءته المفصل، واستقل ما عنده من القدر المحصل، وأما البيان فالمصباح لا يظهر له نور عنده هذا الصباح، وبرؤية تحقيقاته يتحير الناظر، ويقول: كم لله من مواهب لا تسعها المكاسب إلى غيرها من علوم عديدة وفضائل مأثورة عتيدة**"[10]، وهذا النص يدل على موسوعية وشمولية عالمنا، ويظهره قادرا متمكنا في طرق جميع أبواب العلم بلا خوف أو هيبة[11].

1.1. تنوع مجالات تأليفه

أظهر ابن مرزوق الحفيد امتلاكه لأسباب المعرفة مما جعله محافظا على خصائص أعماله في مختلف الاتجاهات: النص، التأليف والشرح والتعقيب، والتي جاءت في إطار الحفاظ على الأمانة العلمية ومصداقية الرؤية وتوافقها مع غاياتها العلمية الصرفة، ولما كان التأليف ظاهرة اتصالية، ترتكز على دراسة المصادر، وعلاقة ذلك بالإنتاج الفكري للمؤلف الذي يقوم بدور المرسل في هذا النوع من الاتصال[12]، حرص على خلق تنوع في إنتاجه الفكري سعى من وراءه إبراز قدراته العلمية والتواصل عبرها مع غيره من العلماء وطلبة العلم، ونتيجة لذلك تبوأ الدرجات العليا في التفوق والشهرة في عصره وحتى الآن، ووصوله إلى هذه المكانة لم يكن نابعا من فراغ، وإنما جاء انعكاسا لتميزه في عدة جوانب، بعدة علوم، وإتقانه وتفوقه في مختلف العلوم لاسيما الشرعية منها مرتبط بمقدرته على إتقان علوم اللسان العربي، وفي هذا الصدد يؤكد ابن خلدون على هذه القضية، بقوله: "**أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشرعية إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة**"[13].

وإذا ما قمنا بإحصاء العلوم التي درسها على يد شيوخه وقام هو بتدريسها فيما بعد، لتبين لنا من أنه كان قادرا على أخذ كل العلوم التي كانت متداولة في زمانه في مختلف الحواضر العلمية، وهذا لا يحتاج لإثبات لكون علمه الواسع وسعة اطلاعه فضلا عن المجالات التي كتب بها، تلزمنا بالاعتقاد من أنه أخذ أكبر قسط من كل العلوم التي كانت متداولة في تلمسان وبقية الحواضر العلمية التي زارها خلال مسيرته العلمية. وهنا ندعم قولنا بما كتبه عبد الرحمن الثعالبي، وهو يستجيز أستاذه ابن مرزوق الحفيد، فكتب يقول: "**أن يجيز لي ما له روايته من مسموع ومقروء ومجاز ومناول ومؤلف من فقه وحديث وعلمه، ولغة وتصريف ونحو وبيان، وأصول ومعقول ومنقول، من منظوم ومنثور، وتصوف وآداب وغير ذلك مما جرت به عادة الحفاظ والأئمة والأعلام**"[14].

1.1.1. العلوم النقلية

هي العلوم التي استندت إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل، ولا مجال فيها لإلحاق واسطة القياس، وإلحاق الفروع بالأصول من خلال القياس، أو الاشتراك في العلة، وأصل العلوم النقلية الكتاب والسنة، فكل مسائل العلم تدور حولهما تقريبا، وتتجلى أهمية هذه العلوم فيما ذكره أبو عبد الله الشريف التلمساني في كتابه مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، حين قال: "**فإن العلم أجمل السجايا الإنسانية، وأجزل العطايا الربانية، لاسيما علم الشريعة، إذ هو في سماء المعلوات أسطع بدرا، وأهله من بين أولي الدرجات أرفع قدرا، بجنة رعايته يتحصن يوم الفزع الأكبر من العذاب الأليم، وبنور هدايته يستضاء في ظلم الحشر إلى جنات النعيم، فلقد فاز بالسعادة من أحيا به رسما داثرا، وحاز مع المسلمين**

فيه قسما وافرا"[15]، وسنحاول هنا التعريف تلك العلوم وبيان أهميتها، ومن تم التذكير بما قدمه عالمنا في هذا الميدان، نذكر منها:

علم التفسير وهو من العلوم الشرعية الهامة في حياة المسلمين، لكونه واحد من العلوم الكثيرة التي ظهرت لخدمة القرآن الكريم مثل: علم القراءات والتجويد والرسم وغيرها. وهو العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن، والتفسير في اللغة: هو الإيضاح والتبيين، بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل، ويتجلى ذلك في محكم قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[16]. أما اصطلاحا: هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[17]، بمعنى: "**هو علم بمعاني القرآن، وناسخه ومنسوخه، وبجمله ومبينه، ومتشابهه ومحكمه**"[18].

وبناء عليه فإن هذا العلم كبير وشرف عظيم ذلك من أشرف العلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم وهو خير الكلام لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلا[19]. ومن هنا، فإن علم التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها أحد، ويكفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها[20].

وحافظ علماء المغرب الإسلامي على النهج الحقيقي في علم التفسير، وبقوا متمسكين في تدريسه بطريقة البحث الموضوعي والتحليل، واتجهوا في التأليف وجهة الشرح والبسط غير آبهين لطريقة البحث اللفظي ولا ملتفتين في التأليف إلى المختصرات التي قامت فيها الإشارات مقام العبارات، فكانت الدروس التي حفلت بها مدارس العلم في تلمسان وبجاية وتونس وقسنطينة وفاس وغيرها من المدن في القرن 8هـ/14م دروسا تختلف في منهجها ومادتها وأسلوبها عن الدروس التي كانت تدرس في ذات الوقت في مدارس المشرق الإسلامي[21]، ونتيجة هذا التميز برز رجالات التفسير من أبناء المغرب الإسلامي وذاع صيتهم في بلاد المسلمين، من أمثال: ابن عرفة وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني وغيرهما من المفسرين الكبار.

ومن هذا المنطلق لم يشذ شيخنا عن قاعدة التميز في هذا العلم، فقد اجتهد بقدر ما يمتلكه من إمكانيات وقدرات علمية وذهنية، للمساهمة في هذا العلم، وهو الذي وصفه التنبكتي بالمفسر، حيث قدم لنا أكثر من عمل في هذا المجال، ولكنها تبدو قليل، وفي ظننا أن شيخنا تردد للدخول في هذا الميدان بما عرف عليه من غزارة في الإنتاج في بقية العلوم الدينية الأخرى، هو خشية الزلل أو الخطأ مستذكرا حديث الرسول ﷺ: "**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار**"[22]، وقدم لنا في هذا المجال كتابه "**تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء**"، وكتاب "**الآيات البينات في وجوه دلالة المعجزات**"، وكذلك فسر سور أخرى، وهي: سورتي المائدة ومريم، حتى قيل بأنه "**فارس التفسير**"، وتقول حفيظة بلميهوب عن طريقة تفسيره أنه: "**اقتفى فيها طريقة السلف مثل الزمخشري وابن عطية وأبي حيان**"[23].

أما علم الفقه الذي يبحث في معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وهو من أجل العلوم قدرا وأرفعها شأنا، لأنه يوصل إلى معرفة أحكام الله تعالى في الحلال والحرام، ويرشد الإنسان إلى المعرفة المنهج الإلهي في السلوك الفردي والاجتماعي، ويعبد الطريق السوي لتنظيم علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بربه في العبادات، وعلاقته بأخيه الإنسان في المعاملات، ويرسم الخط القويم لتحديد علاقة الإفراد مع بعضهم، رؤساء ومرؤوسين، كبارا وصغارا، رجالا ونساء، حكاما ومحكومين، قضاة ومدعين، علماء ومتعلمين، عمالا وأرباب عمل[24]. فقدم لنا ابن مرزوق الحفيد عددا من الأعمال المتميزة التي جعلته يشكل علامة فارقة في الكتابات الفقهية في عصره. وهنا نشير إلى ما كتبه التنبكتي: "**وأما الفقه فهو فيه مالك، ولازمه فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام لقال له: تقدم فلك العهد والولاية وتكلم فمنك يسمع فقهي ولا محالة، أو ابن القاسم لأقر به عينا، وقال له: طالما دفعت عن المذهب عيباً وشيئاً، أو أدرك الإمام المازري لكان من أقرانه الذي معه يجاري، أو الحافظ ابن رشد لقال له: هلم يا حافظ الرشد، أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة، أو القرافي لاستفاد من قواعده المقررة**"[25].

أما في ميدان علم اللغة اهتم العلماء المسلمون بتدريس اللغة العربية، ولابد من الإشارة هنا إلى أن علم اللغة يبحث في مجالات تخص دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة ودراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يعرف بـ"**علم الصرف**"؛ إلى جانب دراسة نظام الجملة، من حيث ترتيب أجزائها، وأثر كل جزء منها في الآخر، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض وطريقة ربطها، وهو ما يمكن دراسته ضمن النحو، وهو العلم الذي يختص كذلك في دراسة دلالة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، والحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه وغير ذلك[26].

أما في مجال علم القراءات الذي يختص في البحث في وجوه الاختلاف بين القراءات المتواترة لألفاظ القرآن وحروفه وفائدته صونا لكلام الله سبحانه وتعالى من التحريف والتغيير. والقراءات من ناحية اللغة، فهي جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر لغة إذ نقول: قرأ، يقرأ، قراءة وقرآنا، بمعنى تلا فهو يتلو والقرآن متلو[27]، واصطلاحا هو "**علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف**"[28]. ويصف أحمد بن محمد البنا هذا العلم، بالقول: "**إن علم القراءة علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصول، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع**"[29]، **وأشار إلى فائدته حين قال: "صيانته عن التحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجتهم في الاهتداء، مع ما فيه من التسهيل على الأمة**"[30].

وعليه ظهر هذا العلم نتيجة انتشار الإسلام في الأمصار إلى تباين في نطق بعض الألفاظ، مع عدم الإخلال بالمعنى، وحتى لا تتسع الهوة وتمتد يد البدعة إلى قراءات القرآن، اختير سبعة من أئمة القراء

المشهورين بالثقة في مختلف الأمصار، كلهم من أهل العلم والدراية، ومشهود لهم بالأمانة، واعتبرت قراءاتهم من القراءات الصحيحة والسليمة، ثم زيدت ثلاث قراءات أخرى ولكنها موضع جدل وخلاف بين القراء[31]، علما بأن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان ذلك جائزا لهم ومرخصا فيه، وقد جعل لهم الاختيار في أي حرف قرؤوا به كما في الأحاديث الصحيحة كما أشار إلى ذلك ابن الجزري[32]، ولم يكن هذا العلم ليحقق غاياته التي نشأ من أجلها، لولا ملازمة علوم أخرى له، منها: علم التجويد، وهو علم مختص بـ: "**قواعد وأحكام كيفية النطق بالكلمات القرآنية على الكيفية التي نزل بها على النبي الكريم** ﷺ "[33]، وعلم الرسم والضبط وغيرها من العلوم المساندة[34].

وبدأ التدوين في علم القراءات كغيره من العلوم، منذ وقت مبكر؛ غير أنه لم يشتد إلا في القرن 3هـ/9م، عصر التدوين والانفتاح العلمي في شتى العلوم، ولقد كانت القراءات ولا تزال، محل اهتمام العلماء لاسيما أولئك الذين جعلوا أنفسهم وأوقاتهم وقفا في سبيل خدمة القرآن وعلومه وصونه من التحريف والتبديل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[35]. وبناء عليه، كيف لا يقوم العلماء بخدمة القرآن والقراءات شرحا ونظما وتأليفا، وهم يعلمون أن علم القراءات علم شريف، يتعلق بالقرآن الكريم، وكما هو معلوم أن شرف العلم من شرف من ينسب له، ولا أشرف وأعز من الله تعالى الذي أنزل القرآن وتكلم به حقيقة[36]، ومن بين الأعمال التي قدمها لنا في مجال علم القراءات "**مفتاح باب الجنة في مقرأ السبعة أهل السنة**" ورجز في القراءات[37].

2.1.1. العلوم العقلية

هي العلوم التي يتم استخدام المنهج –المنطق– أو التجربة العملية فيها، وعندها يمكن الحكم عليها بالخطأ أو الصواب، وهناك بعض من استخدم مع الاستدلال السماع النقلي أو الأسلوب المنطقي أيضا في تأييد مذهبهم وآرائهم، والرد على الخصوم ذلك بالنسبة لمنهج النقل. وعلينا أن نتذكر أنه مهما كان الاهتمام بالعلوم النقلية كبيرا من قبل العلماء المسلمين في المغرب الإسلامي –وهو أمر طبيعي– فإن الاهتمام بالعلوم العقلية لم ينقطع بأي شكل من الأشكال، فاهتموا بالطب والهندسة والحساب والجبر وغيرها من العلوم، فشهدت العلوم العقلية ازدهارا كبيرا في تلمسان خلال القرنين 8–9هـ/14–15م، وساهم هذا الازدهار في دفع ابن مرزوق الحفيد، وتحفيزه من أجل ولوج ميدان هذه العلوم العقلية، فكانت له مساهمة في بعض علومها. وهناك من ذكر تضمينه العديد من كتاباته الأدبية شروحات لظواهر طبيعية[38].

2.1. تميزه في بعض العلوم

1.2.1. ابن مرزوق محدثا

من خلال الاطلاع على سيرته العلمية نجد ميله الكبير كان نحو العلوم المرتبطة بالحديث النبوي الشريف، وتعريف العلم حسبما ذهب إليه أنس أحمد كزون، هو: "**العلم النافع الذي يحقق التزكية هو كل علم**

يقرب من الله سبحانه، ويزيد الخشية منه، ويدفع إلى العمل الصالح ويدخل في هذا العلم الشرعي أولا ثم تأتي العلوم الأخرى"[39]. ويتجلى ذلك من خلال تتبع المشايخ الذين تميزوا في هذا المجال في جميع البلدان التي زارها، فحاز منهم على الإجازات التي تؤهله وتأخذ به نحو التميز. ولقد اهتم بالحديث الشريف من مختلف الجوانب، فهو الموضوع الذي لا يفارق دروسه عبر حياته المهنية[40]، فضلا عن وضعه لتآليف متنوعة ومتعددة من أراجيز وشروحات، وهذا ما تؤكده بلميهوب حفيظة محققة كتاب المتجر الربيح بهذا الخصوص: "**اهتم ابن مرزوق الحفيد بعلوم الحديث اهتماما كبيرا، فهو إلى جانب سعة فقهه وعلمه الواسع بعلوم اللغة العربية كان مولعا بالحديث وعلومه**"[41].

واعترف له العلماء بالتفوق والنبوغ في هذا العلم. حتى صار يصنف في مصاف المحدثين الكبار في منطقة المغرب الإسلامي. وتكفي الإشارة هنا، بما وصف به من صفات تخص علم الحديث، حيث أشار ابن مريم من أنه: "**سيد علماء الجلة...الحريص على تحصيل السنة**"[42]، وزاد على هذا تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني: "**وبالعلم محيي السنة بفعاله وبالشيم، قطب الوقت في الحال والمقام...دائم الإرشاد والهداية، ذو الدراية والرواية والعناية، ملازم السنة على النهج لحفظ الأمة من البدع، ذو همة علية، ورتبة سنية**"[43]. ولم يكتف ابن مريم بما كتبه من قبل إنما وضعه في خانة فاقت كبار العلماء في مجال الحديث من أمثال ابن عطية وأبي حيان حين قال: "**أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره إلى ما انضم إليه من الإحاطة بالحديث وفنونه، والاطلاع على رواياته ومعرفة متونه ونظم أنواعه ووصف صنوفه حتى صار إليه الرحلة في رواياته ودراياته، وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته**"[44].

إن ما يؤكد على أنه محدث متميز تلك الإضافات التي قدمها للعلم من خلال تميزه في تحقيق معاني وإدراك مضموناتها ثم الاطمئنان إلى الاستشهاد بها في كافة العلوم المختلفة، إذ أن الاطمئنان إلى صحة النص يجعل الطريق ميسرة في أكثر الأحوال للاستشهاد به، وهنا نستشهد بما قاله الإمام الشافعي: "**إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقوله عرض الحائط**". وعلينا أن نتذكر هنا، من أن المسؤولية كبير هي التي يتصدى إليها المحدث، أو العامل في علوم الحديث، لكونها، أي السنة، تعد في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الرجوع إليها، أي إنما نرجع أولا إلى القرآن الكريم كمقياس، إن لم نجد الحكم فيه رجعنا إلى السنة، فإذا وجدناه فيها عملنا به كما لو كان في القرآن الكريم، شريطة أن تكون ثابتة عن الرسول ﷺ بسند صحيح[45]، ومن هنا نجده ممن تفوقوا في علم الحديث، فقد أحاط به من حيث حفظ رواياته والإلمام العميق بمتونه، والمصنفات التي كتبها في الحديث تشهد على تقدمه وبروزه في علم الحديث والإلمام بمختلف فروعه، ككتاب المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح، وأرجوزة الروضة التي اختصرها في الحديقة ونور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، أنوار الدراري في مكررات البخاري. ومن

هذا نستنتج أن عالمنا كان ملما بالحديث وفنونه، حافظا لمروياته، عارفا لمتونه ونظم أنواعه، وإليه كانت الرحلة في روايته ودرايته، وعليه العمدة في حل مشكلاته[46].

2.2.1. ابن مرزوق الحفيد فقيها

اشتغل ابن مرزوق الحفيد في العلوم الفقهية، ويعتبر فقيها لفروع المذهب المالكي، عارفا بمسائله ومتحكما في أصول الفقه وقواعده. بالإضافة إلى ما كان يتصف به من فطنة وذكاء وحزم واجتهاد، جعله يرتقي إلى مرتبة الاجتهاد في الوقت اعتقد الكثير من الفقهاء يرى أن باب الاجتهاد قد أغلق، مما جعله يحظى بإقبال طلبة العلم من كل الآفاق، وشهد له معاصروه بالتبريز في العلم مع استقامة الدين والصلاح[47]، ولخص التنبكتي ذلك بقوله: "**أما الفقه فيه مالك ولازمة فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام مالك لقال له تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمنك يسمع فقهي ولا محالة**"[48]، فقائمة مؤلفاته متنوعة ما بين شروح وفتاوى ومسائل وإجابات ومناظرة، ولكن يبقى كتاب المنزع النبيل في شرح مختصر خليل بإجماع الكثير ممن أشاروا إليه أنه في غاية الإتقان والتحرير والبيان، ولكن للأسف لم يتمكن من إكماله.

3.2.1. ابن مرزوق الحفيد لغويا

امتازت اللغة العربية بأنها واحدة من اللغات التي توثر وتتأثر، وبعد أن استوعبت هذه اللغة بالترجمة والتعريب ما عند الأمم الأخرى ومن كل اللغات، وقد وعت هذه تلك العلوم، وتمثلت تلك الفنون، وكانت قد قدمت بلسان عربي مبين تجربة مهمة من التجارب الإنسانية، وفي هذا يقول ماريو بل (Mario BEL) مؤلف كتاب قصة اللغات من أن: "**العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى**"[49]. ومن هنا، كان لابد من أن يلم العلماء العرب المسلمين بعلوم اللسان العربي، والتي حددها ابن خلدون في قول: "**أركانه أربعة، وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب**"[50].

ومثل بقية العلوم الأخرى ازدهرت الدراسات اللغوية في المغرب الأوسط منذ القرن 7هـ/13م، وتميز خلالها عدد من العلماء، ويشير شوقي ضيف إلى هذه المسألة بالقول: "**وعلى شاكلة ازدهار الدراسات اللغوية في الجزائر منذ القرن 7هـ/13م تزدهر الدراسات النحوية وحامل لوائها يحيى بن عبد المعطي الزواوي**"، هذا التميز في هذا الميدان من قبل علماء المغرب الأوسط عامة، وتلمسان تحديدا، فرض على ابن مرزوق الحفيد مسألتين: الأولى، إتقان علوم اللغة العربية لما لها من أهمية في الارتقاء والتواصل والتميز، في حين المسألة الثانية: تتلخص في كون علوم اللغة واحدة من الميادين التي صال وجال بها ابن مرزوق الحفيد، ووصف على أنه اللغوي، النحوي، البياني والأديب والعروضي. ويظهر لنا تفوق عالمنا في علوم اللغة العربية في تلك المؤلفات الرائعة التي قدمها لنا في ميدان العلوم اللغوية، والتي امتازت بالإبداع والإمتاع، بشهادة من حققوا له هذه المؤلفات، وفي هذا كتب محمد فلاق، وهو يشير إلى أهمية كتاب إظهار صدق المودة، بالقول: "**يجمع كتاب ابن مرزوق بين الاتجاهين الديني والأدبي، فقد انصرفت غايته إلى تفسير معاني قصيدة البردة التي**

يكشفها مدح الرسول ﷺ الناشئ عن مشاعر حبه وصدق مودته، والوقوف على إشاراتها الصوفية السامية مع تبيان قيمتها الأدبية"[51]. ويتجلى الإمتاع فيما كتبه ابن مرزوق الحفيد نفسه، حين قال: "**وليس لي من البضاعة ما أحصل به منها ما إليه النفس تتوق، فلم أصل إلى التلذذ ببعض ما فيها إلا بالنظر، ولم أنقلب عن نيل إدراك ما أنويه من ذلك إلا بالعي والحصر**"[52]، بمعنى أنه: "**يقف عند بعض المواطن التي يعجب بها ويفصلها تفصيلا تاما ولا يترك فيها شيئا**"[53].

كما كانت هذه العلوم حاضرة في حلقات الدرس التي كانت يعقدها لطلبة العلم، ومنها نذكر: النحو، الصرف والبلاغة[54]، ويصف لنا شوقي ضيف الأجواء التي عمل فيها شيخنا وما درسه من علوم العربية بالقول: "**وكان ابن مرزوق الحفيد يقرأ لطلابه – أو يقرأ عليه- كتاب سيبويه وكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي والألفية وكتاب التسهيل لابن مالك والكافية لابن الحاجب وكتاب المغني وأوضح المسالك لابن هشام، ولمعاصره إبراهيم بن فائد القسنطيني شرح على ألفية ابن مالك**"[55]، من خلال هذا النص تتضح لنا قيمة المعارف التي حملها عالمنا من خلال المؤلفات التي كان يدرسها في مجالسه العلمية، فهي مؤلفات لفطاحل النحاة العرب عبر قرون، منهم القديم والآخر المعاصر له. فهو لم يعاني من عقدة نقص أمام أي كاتب أو مؤلف إن كان قديما أو معاصرا، فهو مثل ما استعان بكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وهو الذي اعتبره السيوطي: "**وحيد زمانه في علم العربية**"[56]، ولم يتردد في الاستعانة بمؤلف معاصره بل هو أحد تلاميذه إبراهيم بن فائد القسنطيني على الرغم من أنه سبقه في الميدان بسنوات طويلة، وهو بذلك دلل على تواضعه وتقديره للعلم والعلماء. وكانت الغاية عنده تقديم الفائدة المرجوة لمن يقرأ أو يستمع، وهذه هي الغاية الأسمى للعالم، وليس مثلما نعاني الآن، من سلوكيات التقريع والتقليل من شأن من يزاحموننا الساحة العلمية.

ومن مزايا الإبداع اللغوي عنده والذي يجعلنا ملزمين أن نسميه باللغوي بمفهومه العام والشامل، اهتمامه بالمضامين البلاغية، فهي حسبما أشار الطاهر بن علي من أن: "**مسألة البلاغة هامة جدا عند ابن مرزوق نظرا لتوسعه فيها مما يضفي عليها الطابع النقدي الأدبي، فقد مزج فيها بين ضرورة وطبيعة العلم، وتجليات الفن، وبين تقرير القواعد وجلب الشاهد، وقد أتى على ذكر الكثير من المصطلحات البلاغية في الشرح والتحليل، وأقام موازين نقدية استنبطها من تعليلات طريفة وموفقة، ما جعلها تزخر بمعارف فنية ودراية كافية بمدركات الأدب المختلفة**"[57]، وكان موفقا في توظيف جميع العلوم الخاصة باللغة العربية، بهدف الخروج بالفكرة، أو العمل بعمومه بالشكل الذي يحقق الغاية، ويظهر من خلاله قدراته وملكاته في هذه العمل. وفي هذا يذكر الطاهر بن علي: "**استعان ابن مرزوق بالنحو من أجل إيضاح النص المشروح باعتبار الدلالة النحوية عاملا مساعدا على الفهم، واستقرار المفهوم العام للفظ...فهو يطبق القاعدة النحوية الصحيحة على اللفظ، ويعرض خواصها من الشواهد والأمثلة**"[58].

وتتضح لنا القيمة الكبيرة لابن مرزوق الحفيد كعالم لغوي له باع وإمتاع في مختلف ميادينه، ويكفي أن نشير إلى واحد من أهم ما كتبه في هذا الميدان، وهو كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة. والذي أشار

إليه محققه الطاهر بن علي، بالقول: "**إظهار صدق المودة شرح مبتكر، وفيه رد على بعض الشراح السابقين، وتصحيحا لأخطائهم، وثناء على بعضهم الآخر، وهو كثير الاحتجاج بالقرآن، والحديث، والشعر، والحكم والوقائع التاريخية**"[59]. وفضلا عن هذا، تمكن عالمنا من إعادة الاعتبار إن صح التعبير، لبعض علوم اللغة، ونعني هنا علمي العروض والقافية نظرا لصعوبتهما، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة شخصيته العلمية وجرأته على الخوض في الصعب من العلوم. وهذا ما جعل على سبيل المثال كتابه المفاتيح المرزوقية يتمتع بقيمة مضافة، إذ غدا إلى جانب ما تضمنه من إضافات فكرية، كتابا تعليميا يستفيد منه كل من رغب في التعرف على علمي العروض والقافية، وفي هذا تعلق صباح مجاهدي: "**إن كتاب المفاتيح المرزوقية هو كتاب تعليمي مفيد، ساهم به صاحبه في شرح وتذليل كثير من القضايا العروضية العميقة التي ربما تستصعب على فكر الكثير من الطلبة والمتخصيين**"[60].

4.2.1. ابن مرزوق الحفيد مفسرا

تميز ابن مرزوق الحفيد في علم التفسير، وأشار إلى ذلك الكثير، وأشاد به العديد من معاصره بهذا التميز والقدرة الإبداعية التي تمتع بها في هذا العلم. إذ وصفه العديد ممن ترجموا له على تميزه في هذا الميدان، من أمثال التنبكتي والمقري حينما ذكراه بـ "**المفسر**"[61]. وكانت مسألة بديهية أن يكون شيخنا مفسرا وهو الذي أتقن الحديث واشتهر بالفقه والفتوى فضلا عن كونه ملما ومتقننا لعلوم اللغة العربية. وحسب رأينا، فإن توافر هذه الأمور سهلت على ابن مرزوق الحفيد من أن يلج هذا الميدان ويبدع به قدر ما استطاع، إن كان ذلك في التأليف أو في مجال التدريس[62]، وأشار تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني إلى تلقيه دروساً في التفسير[63]، ويعلق ابن مريم على تميزه في ميدان التفسير، فيقول: "**إلى ما انضم لذلك من معرفة التفسير ودرره والاطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لاقاه مقاتل لقال: تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم النكت على الحقيقة وقال لكتابه: تنح لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره**"[64].

5.2.1. ابن مرزوق الحفيد أصوليا

يصف فخر الدين الرازي أهمية وطبيعة علم الأصول بالقول: "...**أصول الفقه عبارة عن مجموع طرق الفقه على سبيل الإجمال وكيفية الاستدلال بها وكيفية حال المستدل بها**"[65]، فلم يكن عصيا على ابن مرزوق الحفيد أن يطرق باب علم الأصول ويتميز به، وهو الذي برز في الفقه، وكتب التنبكتي في بيان مدى تفوقه في علم الأصول، قائلا: "**وأما الأصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده، والبرهان لا يهتدي معه لحجة والمقترح لا يقترح عنده بحجة**"[66].

وهكذا نجد أن عالمنا اعترف له القاصي والداني بعلمه وسعته، نتيجة ما قدمه من إنتاج فكري عال المستوى، فهو فيما ذكرنا من علوم تميز بها، قد زاد وأفاد الجميع. ويمتدح القلصادي الجهود التي قام بها ابن

مرزوق في مجال الإبداع الفكري، حين يقول: "**توغل في العلم واستغرق إلى أن طلع إلى الأبصار هلالا لأن المغرب مطلعه، وسما في النفوس موضعه وموقعه، فلا عليك أن ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من إلقائه، لقي الشيوخ الأكابر، وبقي حمده متعرفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام، وأفواه المحابر**"[67].

2. مؤلفاته

يعلق بن داود نصر الدين على ما قدمه ابن مرزوق الحفيد من إنتاج وفير، قائلا: "**لقد ترك لنا ابن مرزوق الحفيد ثروة علمية كبيرة في شتى العلوم والفنون، وهي نحو أربعين مؤلفا... ولكن هذه الثروة ضاعت في مجموعها، ولم يبق سوى بعض المخطوطات**"[68]، وقد حفظت لنا المصادر الكتب التي وضعها، وتقسم إلى تآليف تامة، وأخرى غير مكتملة، وقدم لنا طاهر بن علي وصفا يعكس القيمة العلمية التي تتمتع بها كتابات عالمنا، فيقول: "**تمتاز مؤلفات ابن مرزوق بضخامة وغزارة المادة، وطول النفس في تتبع كل جوانب الموضوع إلى نهايته، نظرا لموسوعية الرجل وتنوع ثقافته، وهذا واضح بجلاء في استحضاره للشواهد، إذ يعتقد المخاطب من ذوي المعرفة، أو من طلابها المرموقين الحافظين لكتاب الله، ومن حفاظ الحديث، وعيون الشعر العربي، والحكمة، ومن المتضلعين في علوم النحو والبلاغة وغيرها من صنوف العلوم والفنون، فهو يورد النصوص من القرآن والحديث، وغيرها من النصوص- في كثير من الأحيان- إشارة دون إتمامها، مما يجعل المتابع له، ولخطابه مشاركا وذا فعالية، أخذا وعطاء، وتبادلا في صنع خط التواصل المعرفي الرفيع، وكأني به يكتب لطبقة يفرضها هو، ولا تفرض عليه لها من العلم نصيب**"[69].

وعليه، فإننا لا نستغرب هذا التنوع في التأليف من قبل ابن مرزوق الحفيد، وهو الذي أشاد به العلماء المعاصرين له والمحدثين بسعة علمه وسعة إمكانياته، وسنحاول هنا بيان تلك المؤلفات من حيث ضبط العنوان وآليات ورودها في المصادر، فضلا عن توفرها أم لا -حسب علمنا-.

1.2. التآليف التامة

وهي تآليف شاملة ومتنوع في مختلف مجالات العلوم العقلية والنقلية، تواتر على ذكرها المترجمون وطلبته ومعاصروه، وهي:

- "**إظهار صدق المودة في شرح البردة**": وهو الشرح الأكبر، ذكره الثعالبي **بعنوان** "**صدق المودة في شرح البردة**"، وأشار إليه الشوكاني في البدر الطالع بـ "**إظهار المودة في شرح البردة**"، **وذكر المقري بأنه**: "...**استوفى فيه غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت**"[70]. وهو أشهر مؤلفاته اختصره القسطلاني (ت:923هـ/1517م) في كتابه "**مشارق الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية**" إذ قال: "**اختصرت فيه شرحها للعلامة الأستاذ المحقق أبي عبد الله محمد بن مرزوق المغربي التلمساني المالكي مع زيادات من غيره كشرحها للإمام أبي العباس والعلامة المحقق الجلال المحلي وغيرهما، وسميته مشارق الأنوار...**"[71].

درس الكتاب وحقق حسب علمنا ثلاث مرات الأولى من قبل الباحثين المغربيين محمد كوار وعلال الغازي سنة 1994م –رسالة ماجستير بجامعة محمد الخامس الرباط–، والثانية من قبل الباحث الجزائري فلاق محمد –رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة تيزي وزو سنة 2010– ثم طبع ونشر سنة 2011م، والثالثة من قبل الباحث الطاهر بن علي أطروحة دكتوراه غير منشورة بجامعة تلمسان.

– "**تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة**": وهو الشرح الأوسط لم يثبت له عنوان في مختلف المصادر والمراجع التي ترجمت له، وتم تحقيقه من قبل أحمد بن عبد الكريم نجيب شريف صاحب مركز نجيبويه وطبع سنة 2013م.

– "**الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان البديع والإعراب**": هو الشرح الأصغر على البردة تطرق فيه ابن مرزوق الحفيد إلى إعراب مفردات قصيدة البردة.

– "**الذخائر القرطاسية في شرح الشُقراطيسية**": ذكره ابن مريم والتنبكتي باسم "**المفاتيح القرطاسية في شرح الشُقراطيسية**"[72]، والمقري باسم "**الغاية القرطاسية في شرح الشُقراطيسية**"[73]، والبغدادي في كتابه إيضاح المكنون "**الذخائر القرطاسية في شرح الشُقراطيسية**"، وهو شرح على قصيدة أبي محمد عبد الله بن يحيى الشقراطيسي[74] في مدح الرسول ﷺ.

– "**المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**": وذكره عبد الرحمن الثعالبي بعنوان "**المفاتيح المرزوقية بحل الرموز واستخراج خبايا الخزرجية**"[75]، وهو شرح للقصيدة الرامزة الشافية في علم العروض والقافية المعروفة بـ"**الخزرجية**"[76] نسبة لمؤلفها ضياء الدين أبي عبد الله الخزرجي[77]، حقق مرتين الأولى بالمملكة المغربية من قبل الباحثة أمينة زين الدين دبلوم الدراسات العليا قسم اللغة العربية في ثلاث أجزاء غير منشور، وما يؤخذ عليها في قسم الدراسة خلطها الشديد بين الحفيد وجده في تاريخ الوفاة الوظائف والرحلات العلمية والمؤلفات أيضا، أما التحقيق الثاني فكان في الجزائر من قبل الباحثة صباح مجاهدي كأطروحة دكتوراه دراسة وتحقيق بجامعة وهران أحمد بن بلة سنة 2014/2013 وهو أحسن من سابقه بكثير.

– "**روضة الإعلام بعلم أنواع الحديث السام**": ذكره اختصارا كل من ابن هلال والسخاوي والقرافي والمقري بعنوان "**الروضة**"[78]، ألفه سنة 821هـ/1418م وهو أرجوزة في علم الحديث جمع فيها بين ألفيتي ابن ليون[79] والعراقي، وهي الأرجوزة الكبرى، حقق بالمملكة المغربية سنة 2006 من قبل الباحثة سناء البوزيدي كأطروحة دكتوراه بدار الحديث الحسنية وهي غير منشورة، وعملها كان جيدا.

– أرجوزة "**حديقة العلوم الفاخرة**": ذكره اختصارا كل من ابن هلال والسخاوي والقرافي والمقري بعنوان "**الحديقة**"[80]، وهي أرجوزة في علم الحديث عبارة عن أرجوزة صغرى اختصر فيها "**الأرجوزة الكبرى الروضة**" ألفه سنة 822هـ/1419م، وعمل الباحث الجزائري صالح وردان المولع بتراث ابن مرزوق الحفيد على تحقيقه مع إعادة تحقيق كتاب الروضة معه، وطبعهما معا في مؤلف واحد وهو عمل ممتاز للغاية.

– أرجوزة "**مواهب الفتاح في نظم تلخيص المفتاح**": هناك من ذكره باسم أرجوزة "**تلخيص المفتاح**"، وهو منظومة رجز في البلاغة نظمه الحفيد لتلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني[81].

– أرجوزة "**المُقْنع الشافي**": في علم الميقات، ونعمل حاليا على دراسته.

– "**أرجوزة نظم تلخيص ابن البناء**": المقصود بها تلخيص كتاب الحساب لابن البناء المراكشي[82].

– "**نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل**": ذكره المقري بعنوان "**منتهى الأمل في شرح كتاب الجمل**"[83]. وهو كتاب شرح فيه كتاب الفوائد في المنطق للخُونجي[84]، فرغ الحفيد من تأليفه بتلمسان سنة 804هـ/1401م.

– "**أرجوزة كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل**": وهو رجز لكتاب الجمل للخونجي في المنطق بلغت أبياتها مائة وأربعة وتسعين بيتا، اختصر فيه كتابه "**نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل**".

– "**أرجوزة في اختصار ألفية مالك**" وضعها في محاذاة أرجوزة "**حرز الأماني ووجه التهاني**" لأبي القاسم الشاطبي، نظم فيها كتاب "**التيسير في القراءات السبع**" لأبي عمرو الداني[85].

– "**انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة**"، ورد لدى السخاوي والقرافي باسم "**انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة**"، وهو عبارة عن أجوبة على مسائل علمية في الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم وردت عليه من عالم قفصة ابن السراج أبو يحيى بن عقيبة فأجابه عنها[86]، وقام الباحث المغربي سقساق أحمد بدراسته وتحقيقه كأطروحة دكتوراه بجامعة تطوان سنة 2008م وهو عمل ممتاز ولكنه لم ينشر بعد، ويعمل ماحي قندوز على إعادة دراسته بالجزائر.

– "**المعراج في استحضار فوائد الأستاذ ابن سراج**": وهي التسمية التي وردت في فهرسة ابن هلال السجلماسي[87]، في حين أشار إليه كل من السخاوي والقرافي باسم "**المعراج إلى استمطار فوائد ابن السراج**"[88]. وهو كتاب أجاب فيه قاضي الجماعة محمد بن محمد بن السراج الغرناطي[89] عن بعض المسائل النحوية والمنطقية التي طرحها عليه.

– "**نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين**": كتاب نفيس في الحديث شرح فيه أول حديث من كتاب "**حلية الأولياء**" لأبي نعيم الأصفهاني.

– "**الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي**"، الونشريسي والمازوني[90] سمياه "**تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم**"[91]، وذكره التنبكتي باسم "**الدليل الواضح المعلوم على طهارة كاغد الروم**"[92]، **أما البغدادي فسماه** "**الدليل الواضح المعلوم على طهارة ورق الروم**"[93]، وقام الباحث د.عبد السلام بن مبارك الزاوي بتحقيقه والتعليق عليه ثم نشره سنة 2012م، كما قام أيضا بن معمر محمد بدراسة هذه النازلة في مقال منشور له بمجلة مخطوطات مخبر شمال إفريقيا لسنة 2015م[94].

– "**النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص**" في سبع كراريس رد فيه على فتوى معاصره الإمام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه حول مسألة لبعض الصوفية بشأن بعض الأعمال رأى العقباني بأنها صواب وخالفه الحفيد فيها[95]، ونقل الونشريسي فتوى العالم قاسم العقباني كاملة، ثم قال: "...**والشيخ الحافظ**

المحقق أبي عبد الله بن مرزوق رحمه الله في الرد على هذا الجواب تأليف وكلام شاف في سبع كراريس، منع من إثباته عقب هذا الجواب واستيفاء كلامه وجلب فوائده"[96]، فكما هو معروف أن عالمنا كان شديدا على أصحاب الأهواء والبدع.

- "**مختصر الحاوي في الفتاوي**": اختصر فيه فتاوي المفسر والفقيه ابن عبد النور التونسي.

- "**الروض البهيج في مسائل الخليج**": جواب على مسألة وقعت بتلمسان تتعلق بمجرى ماء، ونعمل على دراسته.

- "**أنوار الدراري في مكررات البخاري**"، ذكره كل من القرافي وابن مريم أما السخاوي فذكره باسم "أنواع الذراري"[97]. لم نقف له على نسخة والواضح من خلال عنوانه أنه يذكر مكررات الحديث المشروح في صحيح البخاري.

- "**مناقب الشيخ إبراهيم المصمودي**": كتاب مفقود ترجم فيه لشيخه العالم إبراهيم المصمودي في أوراق معدودة[98].

- "**تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء**": ذكره البلوي باسم "**جزء في الكلام على قل هو الله**"[99].

- "**عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقييد**"[100].

- "**الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات**": ذكره القرافي بعنوان "الآيات البينات في وجوه دلالة المعجزات"[101].

- "**إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم**" كتاب نفيس في علم الأنساب أجاب فيه على أسئلة تتعلق بإثبات الشرف من جهة الأم، حقق وطبع من قبل الباحثة المغربية لحلو مريم عندما حققت كتاب "إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم لمحمد المراكشي الأكمه (739-807هـ) ويليه إسماع الصم في إثبات الشرف للأم لمحمد بن مرزوق الحفيد (766-842هـ) دراسة وتحقيق سنة 2006.

- "**شرح المختصر الفرعي**" لابن الحاجب سماه البلوي "تقييد على صدر من ابن الحاجب الأصلي[102].

- "**شرح التسهيل**": هو كتاب في علم النحو شرح فيه ابن مرزوق الحفيد كتاب التسهيل لابن مالك النحوي[103].

- "**الفرائض**" أو "**منتهى الأماني**" وهو اختصار للمنظومة التلمسانية التي نظمها إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (ت:697هـ/1297م)، وقال تلميذه الحافظ التنسي لما نظم مختصرا للتلمسانية "**أنه لم يخرجه**" لأن شيخه ابن مرزوق الحفيد اختصرها، وذكر البلوي أنه سماها "**منتهى الأماني**"[104].

- "**النور البدري في التعريف بالفقيه المقري**": وهو ترجمة للإمام المقري الجد، والكتاب مفقود.

- "**منظومة فراجة الكروب ومنية المطلوب**"[105].

- "**تقاييد على سور من الكتاب العزيز**" ذكرها البلوي[106].

- "**مرويات ابن مرزوق الحفيد**" ذكر التنبكتي بأنه اعتمد عليه ضمن مصادره[107]

أما كتاب "**الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف**" فهو من تأليف تلميذه محمد بن العباس العبادي التلمساني وضعه في مذهب شيخه في صرف اسم أبي هريرة، وكتاب "**أشرف الطرف للملك الأشرف**" فليس من وضعه وقد أخطأ الحاجي خليفة في نسبته للحفيد.

2.2. التآليف الغير مكتملة

– "**المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح**"، وورد لدى التنبكتي في النيل وابن مريم باسم "**المتجر الربيح والسعي الرجيح والرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح صحيح البخاري**"[108]، شرح أوله إلى باب الإيمان كاملا ثم أبواب من الصلاة، حقق وطبع منه جزئه الثاني من قبل الباحثة بلميهوب حفيظة (أطروحة دكتوراه)، كما اشتغلت على بقية الأجزاء منه، وهي قيد الطبع على حسب علمنا.

– "**إيضاح المسالك على ألفية الإمام ابن مالك**" وهو شرح على ألفية ابن مالك لم يكمله وصل فيه إلى اسم الإشارة أو الموصول في مجلد كبير[109].

– "**شرح شواهد شراح الألفية إلى باب كان**" في مجلد[110].

– "**روضة الأريب في شرح التهذيب**": أشار إليه السخاوي والقرافي وابن مريم باسم "روضة الأريب ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب[111]، والتهذيب هو مختصر للمدونة ألفه البراذعي.

– "**المنزع النبيل في شرح مختصر خليل**" وهو شرح لمختصر خليل في الفقه من كتاب الطهارة والأقضية شرح منه كتاب الطهارة في ثلاثة أجزاء، حققت وسيلة حماموش خمسين ورقة منه بكلية العلوم الإسلامية بالعصمة سنة 1997م، وواصل كل من جيلالي عشير ومحمد بورنان ومالك كرشوش بتحقيق الجزء الأول منه – أطروحة دكتوراه–ثم جمع العمل وطبع في أربعة أجزاء بالجزائر سنة 2012.

– **الفتاوى والنوازل:**

له مجموعة من نوازل والفتاوى، نقلها لنا أبو زكريا المازوني في نوازله، وكتب قائلا: "**شيخي الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين، ذي التواليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والتحقيق سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق**"[112]، كما جمعها لنا الونشريسي أيضا في معياره "**لأهميتها وعلو كعبها في ما استفتى به من أمور**"[113]، وأخرى أوردها أحمد سعيد المجلدي في كتابه التسيير في أحكام التسعير منها ما يتعلق بشروط المحتسب[114]، وعلق عليها ابن هلال السجلماسي في فهرسته قائلا: "**وأما أجوبته وفتاويه فقد طارت شرقا وغربا في البدو والحضر وعمت أهل المدر والوبر**"[115].

وتوجد نسخة من نوازله بقسم المخطوطات بمكتبة الحامة بالعاصمة ولكنها مبتورة الآخر، والواضح أنه تم جمعها في كتاب خلال القرن 12هـ/18م، وقام الباحث المغربي لحسن الصويني بجمع نوازله في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية بالمغرب سنة 1994م، عنوانها "**الفتوى عند ابن مرزوق ومنهجه في الاستنباط**"، جمع فتاويه ووضع دراسة عامة عنها، وعن طبيعة الفتوى وشروط المفتي، كما قام

أيضا قندوز ماحي بجمع ودراسة لنوازله من خلال كتاب المعيار وطبع العمل في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2016.

– **الخطب الدينية:** ومن جملة ما تركه أيضا خطب دينية مفيدة ومهمة، وصفها ابن هلال على أنها: "**خطب عجيبة**"[116]، وكرر ذات القول ابن مريم من "**أنها عجيبة**"[117]، ومثل هذا الوصف يدل على أنها كانت من الفائدة والأهمية والضرورة مما جعل هؤلاء يصفونها بالعجب، وما يؤكد على أن له خطبا أن كل من ترجم له وصفه بـ "**الخطيب**".

3. منهجه في الكتابة

لا يختلف اثنان على أن لكل مؤلف منهجيته الخاصة، تكون محددة واضحة المعالم قبل الشروع بأي بحث، وله أسلوب خاص به يميزه عن غيره من المؤرخين والعلماء السالفين أو المعاصرين له وذلك من حيث انتقاء المادة التاريخية وطريقة عرض الأخبار والروايات[118]. وبناء عليه، فإن شيخنا ابن مرزوق الحفيد الذي تميز بمقدرة أدبية ولغوية فضلا عن حس علمي، واطلاع واسع على مناهج من سبقه في مضمار التأليف، قد اختط لنفسه منهجا عرض من خلاله مادته العلمية المتنوعة. وهذا يعني أنه اختط لنفسه منهجا علميا ثابتا، فهو يحدد الموضوع أو ما يريد بحثه من مسائل، والغاية من وراء ذلك، ثم يجمع مادته اللازمة، فإذا كتب جاءت مقسمة، مرتبة حافلة بأقوال أهل العلم في كل مسألة، مع ذكر قائلها، والمصدر الذي استقاه منه، ولابد من الإشارة هنا إلى أن ابن مرزوق الحفيد هو عالم مسلم تحدده آليات منهجية أقرها الإسلام فعليه هو وغيره من العلماء الالتزام بها، ونستدل هنا بقول الرسول محمد ﷺ: "**لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار، ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة**"[119]. وهذا يجعلنا نقول من أنه لا تختلف آداب العالم والمتعلم عما اشترطه العلماء المسلمين بشيء، وهي تتلخص في الالتزام بالسنن النبوية والأخلاق الإسلامية، إذ لابد من الايجابية والبحث عن مواضيع الاتفاق والإنصاف في العلم من أجل تحقيق غاية الفهم والإدراك، إلى جانب التركيز على التفرغ وعدم الاشتغال بالدنيا أو الاهتمام بجمعها أو التطلع إلى الجاه والمكانة الاجتماعية[120].

ومن خلال هذه الخلفية ينطلق ابن مرزوق الحفيد في إبداعه العلمي، وجعل منهجه لا يحيد عن الغاية التي حددها الإسلام في الغاية من العلم والكتابة فيه. لاسيما وأن الباري عز وجل قد أشار إلى العلم بشقين الايجابي والسلبي، وفي هذا يقول ابن رجب الحنبلي: "**قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح**[121]**، وهو العلم النافع، وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع**". وعليه، إن البحث في منهج المؤلف من أهم ما يتوخاه الدارس لأي شخصية علمية ينوي دراستها وبيان أهميتها وإمكانياتها العلمية، لأننا إذا تعرفنا على منهج العلمي يسهل علينا فهم نصوصه ومعرفة مظانه، وبالتالي دلالة مصطلحاته.

ومن دراستنا لما كتبه ابن مرزوق الحفيد، وما كتب عن تلك المؤلفات من قبل معاصريه وفي وقتنا الحاضر، توصلنا إلى تحديد مسألتين فيما يخص منهجيته في الكتابة تميز بهما، أولها: أنه كان موسوعيا في

علمه ومعارفه، والدلائل على ذلك كثيرة، بمعنى أنه لم يتجه إلى اختصاص علمي محدد، ولكنه حينما يكتب في أحد العلوم العقلية منها أو النقلية، فإننا نشعر بأنه مختص في هذا العلم دون غيره، وفي ذات الوقت نراه يوظف باقي العلوم من أجل تقديم منتج معرفي متطور وذا فائدة. أما المسألة الثانية: هي الفكر المنهجي الذي كان يتمتع به، وهو فكر منهجي دقيق يلازمه في كل ما يكتب ويبحث فيه، أيا كان الموضوع أو العلم الذي يعالجه. وأنا بقرارة نفسي أجدها عاجزة في معرفة مصدر هذه القدرة التي يتمتع بها شيخنا ابن مرزوق الحفيد، حتى إننا نطرح تساؤلا: أهي فطرة فطره الله عليها أم هي نتاج الخبرة وتراكمات التحصيل العلمي المستمر؟ لأننا نجده منذ نشأته العلمية، كان يتناول ما يدرسه بنفس الطريقة المنهجية التي مات عليها، ونتيجة ذلك تمرس عليها واعتادها ولازمها في كل ما يكتب ويصنف فيه.

ومن الأمثلة على المقدرة المنهجية التي عرف بها أسلوبه في معالجة واحدة من أهم القضايا في المغرب الإسلامي، وهي موضوع إثبات الشرف من جهة الأم، إذ حينما طرح عليه هذا الموضوع نجده يتميز على الآخرين بالشكل الذي يعكس تمكنه في ميدان الإفتاء، فهو لا يجيب بالطريقة التي اعتاد عليها من سبقوه، وإنما كانت طريقته تعتمد على أسلوب منهجي متدرج في الإجابة وأدوات الإقناع له. إذ نجده يجيب على السؤال بالإيجاب أو تأييد الفتوى، ويسند الإجابة إلى استعراض النصوص الدينية بعمومها ومن تم تحديد رموزها، حينما ذكر العلامة ناصر الدين أبو علي المشدالي، وفي ذات الوقت ساق من اعترض على ذلك، وذكر أبا إسحاق بن عبد الرفيع، حين قال: "**الحمد لله وحده يثبت للمذكور شرف النسب من جهة الأم ويحترم بحرمة الشرفاء ويندرج في سلكهم، ويثبت ذلك له ولذريته، هذا هو الذي اختاره وبه أفتى علماؤنا التلمسانيون من أصحابنا المعاصرين وأشياخهم وأشياخ أشياخهم وبه أفتى رئيس البجائيين خاتمة المجتهدين في زمانه الإمام العلامة ناصر الدين أبو علي المشدالي، كما حكي أن الإمام العلامة رئيس التونسيين في زمانه أبو إسحاق بن عبد الرفيع أفتى بخلافهم**"[122]، إلا أنه انتقد من سبقوه في الفتوى بالإجابة من دون تقديم السند الدقيق في ذلك، وأكد على ضرورة تقديم الأسانيد الواضحة والأكيدة بما يضفي المصداقية في الإجابة، حين قال: "**لكن ما وقع إلي من فتاوي أصحابنا إنما رأيته مجرد الإعلام بالحكم من غير إبداء مستند لأحد منهم إلا علي سبيل الإجمال. ولعمري أنه من شأن المفتين قديما وحديثا، فإنهم لم يزالوا يفتون من غير إبداء المستند، لاسيما المقلد المحض فإنه لا يفيده أن عين هذه المسألة ما لم نطلع فيها على نصوص المتقدمين إلا بالترجيح حسن ألا تخلو من الاستدلال، فلذلك آثرت ذكر شيء من الاستدلال مع الحكم، لاسيما وقد اضطربت الآراء فيها، فأقول وبالله التوفيق وهو المستعان سبحانه وتعالى دليل ما ذكروه من الحكم ينتجه قياس من الضرب الأول من الشكل الأول، وهو أبين شكل، وهو كل من كانت أمه شريفة النسب فهو من قرابة رسول الله ﷺ نسبا، فهو شريف النسب شرعا وعرفا**"[123].

والأرضية الدينية هي الأصل المعرفي الذي يستند عليه الحفيد في فتواه، أولا النص القرآني يكون منطلقا أساسيا للاجتهاد في الرأي، ولأسرار تشريعه، بما يستغرق كافة طاقاته –الدلالية واللغوية والعقلية على

حد سواء- وهذا ليتقي مواقع الغلط في التفسير أو الخطأ المنهجي في الاجتهاد، ليكون استبطان دقائق معاني النص في ضوء ظاهره لا يناقضه، وهذا أصل منهجي عتيد يجمع بين منطق اللغة، ومنطق المعاني، كما نرى، وهو ما أشار إليه الإمام الغزالي بقوله: "**لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج إلى تكرير**"[124].

ومن خلال ما تقدم يمكننا تحديد بعض النقاط الأساسية التي امتاز بها المنهج المتبع من قبله في مؤلفاته، وهي:

- اختيار العنوان المناسب بحيث يشد انتباه القارئ ويحفزه على قراءة الكتاب، فالعنوان الجيد يكون معبرا عن الفكرة الأساس للموضوع.
- تحديد المصطلحات حسب اختصاصها وعلمها وبيان معانيها.
- تدعيم آرائه فيما يكتب بآراء ومواقف مساندة له وأخرى معارضة، وحرصه على ترجيح الآراء، والتركيز على نقل المشهور والموثوق منها، بما يعزز من مصداقية الرأي الذي يذهب إليه.
- التوسع في نقل آراء الآخرين إذا استدعى الأمر ذلك، مع بيان كل رأي بمبعثه وعلته وقوته، ونقدها إذا استدعى الحال.
- تسلسل الأفكار وسلامة اللغة والتعبيرات بما لا يجعل القارئ في حيص بيص من أمره وهو يقرأ.
- تلخيص النقول بما لا يفقد النص والفكرة الانتقالات الطبيعية.
- كان متواضعا في إبداء آرائه وعدم ادعاء المعرفة التامة، كما لا نجده عدائيا اتجاه أي رأي يختلف معه، وهذه صفة من صفات العالم المسلم المتزن والملتزم، فهو كان يبتعد كل البعد عن التجريح بمن لم يوافقه الرأي أو الفكرة. وهذه صفة يجب أن يتحلى بها الكاتب لكي لا يقع في شرك الإساءة وإنكار ما للغير من جهد.
- تنوعت لديه صيغ الاقتباس بما يفيد العمل، فإن تطلب الأمر شعرا أشعر، وإن تطلب حديثا ذكر، وإن تطلب تفسيرا فسر، وهكذا حتى يطمئن من كونه قد أوصل الفكرة إلى غايتها المرجوة، بمعنى أنه كان يسعى إلى جعل النص سهلا ممتنعا يمكن لأي كان أن يفهم مغزاه ويطلع على خبايا. وهذه حسب رأينا هي ميزة الكاتب الناجح، الذي يقدم كتاباته للكل وليس لنخب بعينها تستفيد منها وغيرهم.

خاتمة

حاول ابن مرزوق الحفيد من خلال مؤلفاته أن يحقق فكرة حتمية الإفادة لمن يطلع عليها، ومن هنا نجده ينوع في الآليات والوسائل المنهجية في كتاباته، فهو لم يقف جامد متسمرا أمام سياق واحد من الآليات الكتابية والتوظيفات المنهجية، وإنما كان يتنقل وفق معطيات العمل وما يطرأ من تغير أثناء مرحلة الانجاز، فهو يشرح ويسترسل فيه إن كان ذلك مجديا والعكس صحيح، وهو يوضح ويفسر المعاني وبيانها إن كان ذلك يصب في خدمة العمل، فضلا عن ترجيحه للأقوال والآراء والاعتناء بها بما يجعله يحافظ على سياق عمله وبيان فكرته، إضافة لتماسك أفكاره وآراءه، وهو الذي وضعه في خانة التميز والبروز في ميادين العلم والمعارف.

كما تنوعت مؤلفاته وتوزعت ما بين العلوم النقلية والعقلية، كما أنه يتشعب داخل العلم الواحد بدراسات متنوعة ومختلفة، ولكن العامل المشترك بين هذه المؤلفات، هو: حسن استخدام اللغة للتعبير عن الموضوع، فهو يستخدم لغة عالية الجودة يستلهما بصيغ جمالية مما ورد في محكم الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وهذا مرتبط بفكره وثقافته العلمية الواسعة التي تنوعت مصادرها وتعددت مواردها العلمية، والبراعة الإنشائية التي تمتع بها جعلته في قادر على إيصال المعاني بأدق عبارة وأسهلها، وذلك لقدرته على الانتقال ما بين الكتابة ذات المغزى الكثيف العميق والكتابة ذات النثر السلس المتوازن، وكان هدفه من وراء ذلك هو توفير الأجواء المثالية لتذوق النص وإدراك مكنوناته، وهذا الأمر جعله يتميز في مسألة البناء اللغوي، ويضيف إلى كتاباته بعدا آخر إلى جانب الأبعاد الفكرية والثقافية الإبداعية، فهو يستخدم ألفاظ وعبارات مناسبة للموضوع، ويأتي بالأمثلة والأدلة لمؤلفين لهم مكانتهم في هذا الميدان.

الهوامش:

1- نبهان، كمال عرفات، **عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي**، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2015، ص ص: 49-51.

2- عبد الرحمن، بدوي، **مناهج البحث العلمي**، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977، ص: 37.

3- أحمد بابا، التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ج: 1، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1989، ص: 499.

4- المصدر نفسه، ص: 500.

5- أحمد بن محمد، المقري التلمساني، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**. ج:5، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، ص: 420.

6- مصطفى، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج: 1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص: 35.

7- نبهان، كمال عرفات، المرجع السابق، ص: 27.

8- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 40.

9- **أبو حيان الغرناطي (ت:745هـ/1344م)**: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. سمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز، على يد الشرف الدمياطي، ابن دقيق وابن عساكر وغيرهم، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ اشتهر اسمه أيضا. وأخذ عنه أكابر عصر، من أمثال: تقي الدين السبكي وابن عقيل. وتولى تدريس التفسير في المنصورية. ومن تصانيفه: البحر المحيط في التفسير ومختصره النهر، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ارتشاف الضَّرَب. ينظر: جلال الدين، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج:1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، ص ص: 280-285.

10- أبو عبد الله محمد بن محمد أبي أحمد الشريف، ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ط1، 1908، ص ص: 202-203.

11- يؤكد كمال عرفات نبهان على هذه الظاهرة بالقول: "**وعلى العكس كثير من مؤلفي القرون السابقة، الذين كانوا يصلون كتبهم بما سبقها في محبة وتواضع ووفاء، نجد كثيرا من المعاصرين يؤكدون على التمايز على غيرهم لأسباب تنافسية أو مادية، بينما يكوم بعضهم أعمالا لا تمثل تمايزات لافتة، وكثير من كتبهم يعتمد على النهب والهشاشة المنهجية والفكرية والتخفي في زحام الجهل والفوضى باستثناء إبداعات رائعة**". ينظر: المرجع السابق، ص: 27.

12- المرجع نفسه، ص: 12.

13- عبد الرحمن، ابن خلدون، **مقدمة**، ض: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص: 753.

14- عبد الرحمن، الثعالبي، **رحلة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي**. تحقيق: محمد شايب شريف، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والمعلومات، ط1، 2005، ص: 114.

15- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني، الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة**، تحقيق: محمد علي فركوس، بيروت، المكتبة المكية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص ص: 295-296.

16- سورة الفرقان، الآية: 33.

17- بن عبد الرحمن، فهد، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، الرياض، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ، ص ص: 7-8.

18- عدنان محمد، زرزور، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، عمان، دار الإعلام، ط1، 2005، ص ص: 300-331.

19- بن عبد الرحمن، فهد، المرجع السابق، ص: 12-13.

20- محمد حسين، الذهبي، **التفسير والمفسرون**. ج:1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1995، ص ص: 12-14.

21- محمد الفاضل، بن عاشور، **التفسير ورجاله**، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، 1970، ص ص: 102-103.

22- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، ج: 1، مكتبة كرياطه فوترا، ص: 290.

23- حفيظة، بلميهوب، "**ابن مرزوق الحفيد وكتابه المتجر الربيح في شرح الجامع الصحيح للبخاري**"، مجلة السيرة النبوية، ع: 7، الرباط، 2012، ص: 297.

24- خلاف، عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**، مكتبة الدعوة الإسلامية، ص ص: 11-12.

25- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 500.

26- عبد التواب، رمضان، المرجع السابق، ص ص: 10-12.

27- مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص: 49.

28- سالم محيسن، محمد، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، ج: 12، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1984، ص: 9.

29- أحمد بن محمد، البنا، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات**، ج:1، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، بيروت، عالم المعرفة، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1987، ص: 67.

30- المرجع نفسه، ج: 1، 1987، ص: 67.

31- سالم محيسن، محمد، المرجع السابق، ص: 10.

32- أبو الخير محمد بن محمد، ابن الجزري الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**، ج:1، بيروت، دار الكتاب العلمية، 2016، ص: 31.

33- أحمد مفلح، محمد القضاة وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**، عمان، دار عمار، ط1، 2001، ص ص: 184-191.

34- المرجع نفسه، ص: 191،220.

35- سورة الحجر، الآية:9.

36- بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، نبيل، **علم القراءات نشأته- أطواره- آثره في العلوم الشرعية**. الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 2000، ص: 98.

37- أبو جعفر محمد بن علي الوادي آشي، البلوي، **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي**، تحقيق: عبد الله العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، ص: 293.

38- فتحي، طول فتحي، "**منهج التحليل العلمي للظواهر الطبيعية عند ابن مرزوق الحفيد**"، مجلة الفكر الجزائري، ع: 5، تلمسان، أفريل 2013، ص ص: 151-164.

39- أنس أحمد، كرزون، **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**، أطروحة دكتوراه، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1995، ص: 117.

40- الثعالبي، المصدر السابق، ص: 113. البلوي، المصدر السابق، ص: 286.

41- أبو عبد الله محمد، ابن مرزوق الحفيد التلمساني، **المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح**، ج:1، تحقيق: حفيظة بلميهوب، الجزائر، دار التنوير، ط1، 2010، ص: 209.

42- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 202.

43-أحمد بابا التنبكتي **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ج: 02، تحقيق، محمد مطيع، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2000، ص: 138.

44- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 203.

45- مصطفى، الخن مصطفى وآخرون، **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي**، دمشق، دار القلم، ط4، ج:1، 1992، ص: 17.

46- أبو عبد الله محمد، ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ج:1، ص ص: 210-211.

47- أبو عبد الله، ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل**، ج:1، تحقيق: جيلالي عشير وآخرون، الجزائر، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، ط1، 2012، ص: 119.

48- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500.

49- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 753.

50- شوقي، ضيف، **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)**، القاهرة، دار المعارف، ط1، 2017، ص:91.

51- أبو عبد الله محمد، ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**، ج:1، تحقيق: محمد فلاق، الجزائر، موفم للنشر، ط1، 2011، ص: 38.

52- المصدر نفسه، ج: 1، ص: 48.

53- الطاهر، بن علي الطاهر، "**مضامين شروح البردة**"، مجلة الفكر الجزائري، ع: 5، تلمسان، أفريل 2013، ص: 120.

54- الطاهر، بن علي، "**من الأعلام الرواد في الفكر والأدب الجزائري العلامة ابن مرزوق الحفيد**"، مجلة التراث، الجلفة، ع:5، مارس 2013م، ص: 34.

55- شوقي، ضيف، المرجع السابق، ص: 92.

56- جلال الدين، السيوطي، المصدر السابق، ج:1، ص: 496.

57- الطاهر، بن علي، المرجع السابق، ص ص: 121-122.

58- المرجع نفسه، ص: 116.

59- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تحقيق: بن علي الطاهر، ص: 153.

60- مجاهدي، صباح، **المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية لابن مرزوق الحفيد -دراسة وتحقيق-**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الأدب العربي، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2014، ص: 41.

61- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 499. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 420.

62- أبو الحسن علي، القلصادي، **رحلة القلصادي**. تحقيق: محمد أبو الأجفان، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2011، ص: 102.

63- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 205.

64- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 203.

65- فخر الدين، الرازي، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، ج: 1، 1400هـ، ص: 94.

66- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 501.

67- القلصادي، المصدر السابق، ص: 101.

68- بن داود نصر الدين، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**، أطروحة دكتوراه علوم، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان، 2010، ص: 233.

69- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تحقيق: بن علي الطاهر، ص: 66.

70- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 60.

71- محمد بن علي، الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج: 2، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ص: 120.

72- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 429. شهاب الدين أبو العباس أحمد، القسطلاني، **مخطوط مشارق الأنوار المضيئة في مدح خير البرية**، رقم د 2134، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الرباط، و: 2. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

73- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 429.

74- **الشُّقراطيسي (ت:466هـ/1073م)**: أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي التوزري، ولقب بالشقراطيسي نسبة إلى قلعة قديمة كانت في الجريد بالقرب من قفصة في تونس تسمى شقراطس. فقيه مالكي، ولد في توزر جنوبي تونس. تلقى العلم على والده ثم على مشايخ المنطقة وبعدها رحل إلى القيروان وأخذ عن علمائها ومنها رحل إلى المشرق سنة 429هـ/1037م حج وزار المدينة المنورة. وخلال مروره بمصر صادف نزول الصليبيين فاشترك مع المصريين في مقاتلتهم، ثم عاد إلى توزر فأفتى فيها ودرّس. برع في النثر والشعر، واشتهر ببديعية قصيدة في مدح الرسول ﷺ عرفت بلامية الشقراطيسي تبلغ نحو 133 بيتا أورد فيها شيئا من سيرة الرسول ﷺ وبعضا من معجزاته وغزواته وشيئا ممن صفاته. ومن مؤلفاته: تعليق على مسائل المدونة وفضائل الصحابة وغيرهما. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج: 4، ص ص: 144-145.

75- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 61.

76- هي في علم العروض من البحر الطويل نالت شهرة كبيرة فيما بعد، وتم شرحها عدة مرات، ومنها: شرح الدماميني، ويقول أبو عبد الله الخزرجي في أول القصيدة:

لَكَ الحَمْدُ يَا اللهُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَا ... فَصَلِّ عَلَى مَنْ جَاءَ بِالنُّورِ وَالهُدَى

وَبَعْدُ فَقَرْضُ الشِّعْرِ لَيْسَ بِهَيِّنٍ ... وَلَيْسَ بِصَعْبٍ عِنْدَ مُسْتَكْمِلِ القِوَى

77- **الخزرجي ضياء الدين أبي عبد الله (ت:626هـ/1229م)**: أبو محمد عبد الله بن محمد، عروضي أندلسي، لم يتأكد تاريخ ولادته، ترك الأندلس واستقر في الاسكندرية في مصر، له عدد من المؤلفات، منها: الرامزة في علمي العروض والقافية وعلل الأعاريض وغيرها، مات قتيلا عام 626هـ/1229م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج: 4، ص: 124.

78- بدر الدين، القرافي، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص: 154. المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 429.

79- **ابن ليون التجيبي (750-681هـ/1282-1349م)**: أبو عثمان سعد بن أحمد، ولد في ألمرية، شاعر وفقيه وقاض وعالم رياضيات ومتصوف، من شيوخه: أبو الحجاج الجياني، ابن بطال وابن جماعة وغيرهم. تنقل إلى المغرب والمشرق الإسلاميين لطلب العلم. من تلامذته: أبو زكريا يحيى الفاسي وآخرون، من مؤلفاته: أرجوزة الألفية، أرجوزة في الفلاحة والإيماض في تقسيم الأمراض وغيرهما. ينظر: التنبكتي، **النيل**، ص ص: 187-188. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 543.

80- محمد، بن الأزرق، **فهرسة ابن هلال السجلماسي لابن هلال إبراهيم بن أحمد السجلماسي -تقديم وتحقيق-**، دبلوم الدراسات المعمقة غير منشورة، دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا، الرباط، 2002، ص: 107. القرافي، المصدر السابق، ص: 154. المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 429.

81- البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

82- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

83- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 429.

84- **الخونجي (646-590هـ/1194-1249م):** قاضي القضاة بمصر وهو أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماور بن عبد الملك الشافعي نزيل مصر. كان حكيما منطقيا، وتميز في العلوم الحكمية وأتقن الأمور الشرعية، درس بالمدرسة الصالحية وأفتى وصنف، سافر إلى الحجاز ومارس التدريس في مكة ووضع بعض التصانيف. منها تصانيف في الطب والمنطق: الموجز في المنطق، الجمل، كشف الأسرار في غوامض الأسرار وشرح مقالة ابن سينا وغيرها. ودفن في المقطم قرب القاهرة. ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **مخطوط نهاية الأمل**، و: 1. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج: 1، ص: 541.

85- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

86- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 297،357. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

87- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 106.

88- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155.

89- **ابن سراج الأندلسي (ت:848هـ/1444م):** أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الأندلسي الغرناطي، مفتي وقاض الجماعة في غرناطة، قال عنه التنبكتي: "**الإمام العالم العلامة الحافظ الجليل، حامل راية الفقه والتحصيل علامة بارعا جليلا جامعا للفنون محصلا قدوة". من شيوخه: ابن لب التغلبي، ابن العلاق وأبو عبد الله الحفار وغيرهم، رحل في طلب العلم إلى تلمسان وتونس وناظر علمائهما منهم ابن مرزوق الحفيد. ومن طلبته: أبو عبد الله الراعي، أبو يحيى عاصم الغرناطي وأشهرهم القلصادي. من مؤلفاته: شرح مختصر خليل والفتاوى**". ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 526.

90- المازوني، **الدرر المكنونة**، ج: 1، ص: 303.

91- الونشريسي، **المعيار**، ج: 1، ص ص: 75، 107. المازوني، المصدر السابق، ج: 1، ص: 303.

92- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

93- البغدادي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 480.

98- محمد، بن معمر، "**صناعة الورق وتجارته في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع: 12، وهران. جانفي 2015.

94- القرافي، المصدر السابق، ص: 155. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

95- الونشريسي، **المعيار**، ج: 11، ص ص: 48-73.

96- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298.

97- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

98- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

99- السخاوي، المصدر السابق، ج:7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. البغدادي، المصدر السابق، ج:2، ص: 192.

100- القرافي، المصدر السابق، ص ص: 172.

101- البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

102- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51.

103- القلصادي، المصدر السابق، ص: 97.

104- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ج: 1، ص:

105- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

106- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 640.

107- المصدر نفسه، ص: 510.

108- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

109- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

110- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

111- القرافي، المصدر السابق، ص: 172.

112- المازوني، المصدر السابق، ج: 1، ص: 200.

113- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

114- أحمد سعيد، المجلدي، **كتاب التيسير في أحكام التسعير**، تحقيق، موسى لقبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970، ص: 46.

115- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

116- المصدر نفسه، ص: 107.

117- ابن مريم، االمصدر السابق، ص: 210.

118- فرنتز، روزنتال، **مناهج العلماء المسلمين**، تعريب، أنيس فريحة، بيروت، دار الثقافة، 1961، ص: 16.

119- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الخطيب، الفقيه **والمتفقه**، مج: 2، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1961، ص: 174.

120- ماجد عرسان، الكيلاني، **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية**، دمشق، دار ابن كثير ومكتبة دار التراث، ط2، 1985، ص ص: 100-101.

121- على سبيل المثال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. **سورة الزمر**: الآية: 9.

122- الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص: 194.

123- المصدر نفسه، ج: 12، ص: 194.

124- الغزالي أبو حامد، المصدر السابق، ج: 1، ص: 290.